



أثر المساكين والسنة في أوقات الفتن

الشيخ

تأليف
فضيلة الشيخ الدكتور

عبد البر بن عبد الرحمن البخاري

أستاذ الحديث المساعد بكلية الحديث الشريف في الجامعة الإسلامية

محاضرة أقيمت بمدينة أم البواقي
يوم ٢٣ رجب ١٤٣٢ هـ الموافق ٢٥ جوان ٢٠١١ م

دار الفضية
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ [سُورَةُ التَّغْوِيَاتِ]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [سُورَةُ الشُّرَاتِ].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [سُورَةُ الْأَنْجُرَاتِ].

أما بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالى، وخيرَ الهدى هدى
محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعةٌ وكلُّ
بدعة ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار، وبعد:

فإنَّ الكلامَ عن سنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ لا يتَّسعُ له المقامُ،
بل لو بقيتِ الدَّهرُ كلُّه تتعلَّمُ السنَّةُ وتدرسهما ما وسعك
الزَّمنُ، كيف وهي تتعلَّقُ بخيرةِ خلقِ اللهِ الَّذي بعثه اللهُ رحمةً
للعالمينَ، أظهرَ اللهُ به الحقَّ ومحقَّ به الشُّركَ، فالدُّنيا قبل بعثته
ﷺ قد ظهرَ في كثيرٍ من أطرافها وأماكنها الشُّركُ بأنواعه
وأضرابه، والظُّلمُ بجميعِ صورته، فكانت قريشٌ قبل مبعثه
ﷺ مقيمةً على عبادةِ الأصنامِ، ومن حول الكعبة نحو من

ثلاثمائة وستون صنماً تُعبَدُ من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

فهذا النبيُّ الكريم بعثه الله رحمةً للعالمين، ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾ [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ].

أخرج الترمذيُّ في «جامعه»^(١)، وفي «الشَّهَائِلِ
المحمَّديَّة»^(٢)، وابن ماجه في «سننه»^(٣)، وأحمد في
«مسنده»^(٤)، وابن حبان في «الصَّحِيح»^(٥) وهو صحيحٌ، عن
أنسٍ رضي الله عنه أنه قال: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ
أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَلَمَّا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَيْدِي،
وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»، وهذا تعبيرٌ عن شِدَّةِ
اللَّوْعَةِ بِفِرَاقِهِ رضي الله عنه، وانقطاع الوحي.

(١) برقم (٣٦١٨).

(٢) برقم (٣٧٥).

(٣) برقم (١٦٣١).

(٤) برقم (١٣٣١٢).

(٥) برقم (٦٦٣٤).

فالكلام عن سنته ﷺ تحتاجه دائماً، والتذكير به مهم في كل حين وإن، لتعلمها وتعمل بها بحق، وحاجتك إليها أشد من احتياجك إلى الطعام والشراب، بل وإلى الهواء الذي تتنفسه، قال الله - جل في علاه - : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ] .

لذا لما كان الأمر بهذه المثابة؛ رغبت في حصر وقصر الكلام على نقاط:

- أولاً: بيان معنى السنة، ومعنى الفتنة.
 - ثانياً: ذكر بعض النصوص الآمرة بلزوم السنة.
 - ثالثاً: ذكر بعض النصوص المحذرة من الفتن.
 - رابعاً: بيان كمال الشريعة التي جاءنا بها الرسول ﷺ.
 - خامساً: ذكر بعض الآثار في التمسك بالسنة عند الفتن.
- وأخيراً الخاتمة - ختم الله لنا ولكم بخير - .



معنى السُّنَّة والفتنة

أَمَّا السُّنَّةُ لُغَةً فَهِيَ: الطَّرِيقَةُ؛ حَسَنَةٌ كَانَتْ أَمَّ قَبِيحَةً، وَهِيَ مَأْخُودَةٌ مِنَ السَّنَنِ، أَيِ الطَّرِيقِ.

وَأَمَّا فِي الْإِصْطِلَاحِ؛ فَلَهَا تَعْبِيرَاتٌ عَدِيدَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، إِلَّا أَنَّ أَشْمَلَهَا وَأَدَقَّهَا هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْحَدِيثِ: أَنَّ السُّنَّةَ كُلُّ مَا أُضِيفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، أَوْ تَقْرِيرٍ، أَوْ صِفَةٍ خَلْقِيَّةٍ، أَوْ خُلُقِيَّةٍ.

وَلِلسُّنَّةِ إِطْلَاقَاتٌ عَدِيدَةٌ؛ فَيُرَادُ بِهَا أحيانًا (الشَّرِيعَةُ) وَمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ عَمومًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

وقد تُطلق ويراد بها (السَّير على طريقة الصَّحابة
رضي الله عنهم، وسلف الأُمَّة الصَّالح)، ومنه قولهم: فلانٌ على
السُّنَّة، أي: يسير على الطَّريقة السُّنِّيَّة اعتقادًا وعملاً، ولا
يخالف هدي السَّلف - رضوان الله تعالى عليهم -.

ويطلق عند الأصوليين ويُراد به (ما يقابل الفرض
والمندوب والمستحب).

وأما الفتنة، فجمعها فِتْنٌ، وهي - كما قال الحافظ ابن
حجر رحمه الله - الاختبار والامتحان، ثمَّ استعملت فيما
أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثمَّ أطلقت على كلِّ
مكروه، أو آيلٍ إليه؛ كالكفر، والتَّحريق، والفضيحة،
والفجور، والإثم، وغير ذلك، فكلُّ ما آل إلى هذا وأدَّى
إليه يُعتبر فتنةً^(١).



(١) «فتح الباري» (٣/١٣).

نصوص في الأمر بلزوم السنة

قد وردت نصوص في الشريعة تحث على اتباع رسول الله ﷺ، والتمسك بسنته، وهي كثيرة، قال الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة رَحِمَهُ اللهُ: «نظرت في المصحف؛ فوجدت فيه طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً»^(١).
وكونها كثيرة دليل على أهمية الطاعة، ولزوم السنة؛ إذ فيها النجاة.

من تلك الآيات:

□ قوله - جل في علاه -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطّة (٩٧).

وَالرَّسُولِ ﴿ [مُحَمَّدًا : ٣٣] الْآيَةَ.

□ ومنها قوله - سبحانه وتعالى :- ﴿وَأِنْ تُطِيعُوهُ

تَهْتَدُوا﴾ [التَّوْبَةِ : ٥٤].

□ ومنها قوله - سبحانه وتعالى :- ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ [سُورَةُ الْأَنْزَابِ].

□ ومنها قوله - سبحانه وتعالى :- ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ].

□ ومنها قوله - سبحانه وتعالى :- ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَكَانَ اللَّهُ شَدِيدَ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ [سُورَةُ الْأَنْزَابِ].

□ ومنها قول الله - جلَّ في علاه :- ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ

أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ [سُورَةُ الشُّرَاهِجَةِ].

□ ومنها قول الله - جلَّ وعلا :- ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ [سُورَةُ الْعَنْزَابِ] في آيات كثيرة.

ومن السنة:

□ قوله ﷺ لما علم الصحابة رضي الله عنهم الصلاة قال:
«صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١).

□ وأخرج مسلم في «الصحيح»^(٢) أن النبي ﷺ في حديث
جابر الطويل في مناسكه ﷺ يقول لأصحابه: «لِتَأْخُذُوا
مَنَاسِكَكُمْ؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ».

□ وأخرج البخاري في «الصحيح»^(٣) من حديث أبي
هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ النَّاسِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا
مَنْ أَبِي»، قالوا: وَمَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ!^(٤)، قال: «مَنْ أَطَاعَنِي
دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي».

(١) رواه البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٧٤) من حديث مالك ابن
الحويرث رضي الله عنه.

(٢) برقم (١٢٩٧).

(٣) برقم (٧٢٨٠).

(٤) كأنه لا يمكن ولا يتصور أن يأبى إنسان أن يدخل الجنة.

□ وأخرج أبو داود^(١)، والترمذي^(٢)، وابن ماجه^(٣)،
وأحمد في «المسند»^(٤) وغيرهم، وهو صحيح، عن العرياض
ابن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغةً
وجلت منها القلوبُ، وذرفت منها العيونُ، قلنا: يا رسول الله!
كأنها موعظةٌ مودّعٍ؛ فأوصينا، قال: «أوصيكم بتقوى الله،
والسمع والطاعة وإن تأمر عليك عبدٌ، فإنه من يعش منكم
فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
المهتدين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن
كلَّ محدثةٍ بدعةٌ»، وفي زيادة: «وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ
في النارِ»، وهذا الحديث العظيم يبيِّن فيه النبي ﷺ أمرين
عظيمين رئيسين: وجوب الاتِّباع، والحذر من الابتداء.

(١) برقم (٤٦٠٧).

(٢) برقم (٢٦٧٦).

(٣) برقم (٤٢).

(٤) برقم (١٧١٤٤).

فقوله: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»،
كَأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ كَيْفَ النِّجَاةِ؟ قَالَ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»، تَرِيدُونَ
النِّجَاةَ؛ الزَّمُوا سُنَّتِي وَسُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي،
وَالْأَحَادِيثِ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ.



نصوصٌ في التحذير من الفتنة

أما ما يتعلّق بالفتنة، وما أدراكم ما الفتنة؟ فإنّ النَّبِيَّ ﷺ قد حذّرنا من الفتن، فالمرء مشرّوعٌ له أن يتعوّذ من أربع فتن قبل سلامه، وذلك لعظمتها.

فالفتن أمرها خطيرٌ، وهي مُهلكةٌ لمن تشرف لها، وقد حذّر منها النَّبِيُّ ﷺ في أحاديث، منها:

□ ما رواه مسلم في «الصَّحيح»^(١) من حديث حذيفة رضي الله عنه أنّ النَّبِيَّ ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَ فِيهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نَكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ؛ عَلَى أَيْضٍ مِثْلِ

(١) رواه مسلم (١٤٤).

الصِّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ
أَسْوَدُ مُرْبَادًا، كَالْكُوزِ مُجْحِيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا،
إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ».

وهذا فيه خطر الفتن؛ فإنك لا تعلم إذا ما تشرفت إليها أن
تكون ممن نكت في قلبه نكتة بيضاء أم سوداء! فاحذر من
التعرض للفتن، واهرب منها هروبك من الأسد.

□ ومنها قوله ﷺ في «الصَّحِيحِينَ»^(١) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
«سَتَكُونُ فِتْنٌ؛ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ
الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَشْتَرَفُهُ،
وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُدْ بِهِ» أي ليهرب من تلك الفتن.

□ وجاء في «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ
الْمُظْلِمِ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا،

(١) رواه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (١١٨).

وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

والعرض هو متاع الدنيا، ويشمل المال، والجاه، والمنصب، وغير ذلك.

□ ويقول ﷺ فيما أخرجه الشيخان^(١): «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»، قالوا: يا رسول الله! أيها هو؟ قال: «الْقَتْلُ، الْقَتْلُ».

فهذه جملة من النصوص الآمرة بالاتباع، والمحذرة من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وقد خطب النبي ﷺ يوماً، فذكر أمر الدجال، وأنه شرُّ غائبٍ يُنتظر؛ إذ فتنته عظيمة - نسأل الله أن يقيننا وإيّاكم الفتن -.



(١) رواه البخاري (٦٠٣٧)، ومسلم برقم (١٥٧) - كتاب العلم) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بيان كمال الشريعة

وأما بيان كمال الشريعة:

□ فقد جاء عند البخاري في «الصحيح»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سأله سائل فقال: حدثنا عن رسول الله في التوراة، فذكر من صفاته أن الله عز وجل لن يقبضه حتى يُقيم به الملة العوجاء، فيقول: لا إله إلا الله، فالنبي ﷺ ما غادر الدنيا وفارقها إلا وقد أتم لنا بيان الدين، وبلغ لنا الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلواتُ الله وسلامه عليه، وقد شهد الله - جل في علاه - له بذلك فقال ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ

(١) برقم (٤٨٣٨).

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿ [لِلْمَثَلَةِ : ٣] .

وشهد لذلك الصَّحابة أيضًا؛ فقد قال ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا إِنْ اِعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟»، قالوا: نشهدُ أنَّكَ قد بَلَّغْتَ، وأدَّيْتَ، ونصحتَ، فيشير ﷺ بأصبعه الشَّرِيفَةَ إِلَى السَّمَاءِ، وَبِيْنَكْتَهَا إِلَى الْأَرْضِ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١) .

□ وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ فِي «التَّفْسِيرِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى أَبِي الْعَالِيَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا إِمَامَ! مَا الصُّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؟ قَالَ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ يَسْأَلُهُ عَمَّا قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ الْحَسَنُ: صَدَقَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَنَصَحَ (٢) .

فَالْمُرَادُ أَنَّهُ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَهْدِيكَ اللَّهُ إِلَى الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛

(١) برقم (١٢١٨) .

(٢) انظر «تفسير الطبري» (١/ ١٧٥)، وذكر الشيخ أحمد شاكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي

تخرجه للحديث أَنَّهُ ثَابِتٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

فَالزَّم سَنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَهْدِي، وَسِرُّ عَلَى طَرِيقَةِ أَصْحَابِهِ مِنْ
بَعْدِهِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما.

فَهَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ الْكَامِلَةُ الْغَرَاءُ، جَاءَنَا بِهَا النَّبِيُّ ﷺ
نَقِيَّةً، وَتَرَكْنَا وَهِيَ نَقِيَّةٌ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، مَا مِنْ خَيْرٍ طِيرٍ
فِي السَّمَاءِ يَقْلِبُ جَنَاحِيهِ إِلَّا وَأَعْطَانَا مِنْهُ خَيْرًا رضي الله عنه، وَمَا مِنْ خَيْرٍ
يَنْفَعُنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا وَدَلَّنَا عَلَيْهِ، وَمَا مِنْ شَرٍّ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ إِلَّا وَحَدَّرْنَا مِنْهُ رضي الله عنه، وَهَذَا مِنْ نَصْحِهِ وَأَدَائِهِ لِلْأَمَانَةِ.

وَمَنْ أَجْمَلَ مَنْ تَكَلَّمَ عَنْ كِمَالِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْإِمَامُ الْهَمَامُ شَيْخُ
الْإِسْلَامِ ابْنُ قَيْمٍ الْجُوزِيَّةَ رحمته الله فِي كِتَابِهِ النَّافِعِ الْمَتَعِ «إِعْلَامُ
الْمَوْقِعِينَ»^(١)، قَالَ رحمته الله: «فَلِرِسَالَتِهِ عُمُومَانِ مَحْفُوظَانِ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِمَا
تَخْصِيصٌ؛ عُمُومٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، وَعُمُومٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُلِّ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، فَرِسَالَتُهُ كَافِيَةٌ
شَافِيَةٌ لَا تُحَوِّجُ إِلَى سِوَاهَا، وَلَا يَتِمُّ الْإِيْمَانُ بِهِ إِلَّا بِإِثْبَاتِ عُمُومِ رِسَالَتِهِ
فِي هَذَا وَهَذَا، فَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنَ الْمَكْلُوفِينَ عَنْ رِسَالَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ نَوْعٌ

(١) (٦/٥١٧ - ط. مشهور).

من أنواع الحقِّ الَّذي تحتاجُ إليه الأُمَّةُ في علومها وأعمالها عمَّا جاء به .

وقد توفِّي رسول الله ﷺ وما طائرٌ يقلِّبُ جناحيه في السماء
إلا ذكر للأُمَّة منه علمًا، وعلمهم كلُّ شيءٍ حتَّى آداب التَّخْلِ،
وآداب الجماع، والنَّوم، والقيام والقعود، والأكل والشُّرب،
والرُّكوب والنُّزول، والسَّفر والإقامة، والصَّمت والكلام،
والعُزلة والخلطة، والغنى والفقر، والصَّحة والمرض، وجميع
أحكام الحياة والموت، ووصف لهم العرش والكرسيِّ، والملائكة
والجنِّ، والنَّار والجنَّة، ويوم القيامة وما فيه حتَّى كأنَّه رأِي عينٍ،
وعرَّفهم معبودهم وإلههم أتمَّ تعريفٍ حتَّى كأنَّهم يرونه
ويشاهدونه بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، وعرَّفهم الأنبياء
وأُممهم وما جرى لهم، وما جرى عليهم معهم حتَّى كأنَّهم كانوا
بينهم، وعرَّفهم من طُرق الخير والشرِّ دقيقتها وجليلها ما لم يعرِّفه
نبيُّ لأُمَّته قبله، وعرَّفهم ﷺ من أحوال الموت وما يكونُ بعده في
البرزخ، وما يحصل فيه من النِّعيم والعذاب للروح والبدن ما لم
يعرِّف به نبيُّ غيره، وكذلك عرَّفهم ﷺ من أدلَّة التَّوحيد والنُّبوة

والمعاد، والرّدّ على جميع فرق أهل الكُفر والضلال ما ليس لمن عرفه حاجةٌ من بعده، اللهمّ إلا إلى من يبلغه إياه ويبيّنه ويوضح منه ما خفي عليه، وكذلك عرفهم ﷺ من مكاييد الحروب، ولقاء العدو، وطرق النصر والظفر ما لو علموه وعملوا به ورعوه حقّ رعايته لم يقم لهم عدوٌّ أبدًا، وكذلك عرفهم ﷺ من مكاييد إبليس وطرقه التي يأتيهم منها، وما يتحرّزون به من كيده ومكره، وما يدفعون به شرّه بما لا مزيد عليه، وكذلك عرفهم ﷺ من أحوال نفوسهم وأوصافها ودسائسها وكمائنها ما لا حاجة لهم معه إلى سواه، وكذلك عرفهم ﷺ من أمور معاشهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامةً» انتهى كلامه ﷺ.

فماذا بقي من أمر الدنيا والآخرة ما بيّنه لنا رسول الله ﷺ!؟

لم يبق شيءٌ ولا ذرّةٌ؛ كلُّ أمرٍ مُبينٌ، ولكن قليلٌ من يتدبّر ويتذكّر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

فكم في لزوم السنّة من خيرٍ عظيمٍ، توافق فيه ما

جاءك به النبيُّ ﷺ من وحي الله له: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ ۝٣ ﴾

إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾ ﴿شُورَةُ الْجَنَّةِ﴾ [٢].

وَكَمْ فِي تَرْكِ سُنَّتِهِ مِنْ تَفْرِيطٍ وَفَوَاتٍ خَيْرٍ كَثِيرٍ، لَا يَعْلَمُ
مَدَى عَاقِبَةِ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

فَانْتَبِهْ - يَا عَبْدَ اللَّهِ! -، وَاحْذَرْ مِنْ مَخَالَفَةِ هَدْيِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي دَقِيقِ الْأُمُورِ وَجَلِيلِهَا.

وَالْمُرَادُ بِلِزُومِ السُّنَّةِ وَالْتِمَاسِكِ بِهَا هُوَ تَعَلُّمُهَا وَفَقْهُهَا
لِتَكُونَ عَلَى عِلْمٍ، وَتَعْمَلُ بِالْعِلْمِ عَلَى وَجْهِ صَحِيحٍ، فَ«الْبَابُ
إِذَا لَمْ تَجْمَعْ طَرِقَهُ لَمْ يَتَبَيَّنْ خَطْؤُهُ» - كَمَا قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) - وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدِ الْجَوْهَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْحَدِيثُ إِذَا
لَمْ أُرَوْهُ مِنْ مِائَةِ وَجْهِ فَأَنَا فِيهِ يَتِيمٌ»^(٢)، وَقَالَ آخَرُ: «الْحَدِيثُ إِذَا
لَمْ أُرَوْهُ مِنْ سَبْعِينَ وَجْهًا لَمْ أَسْتَوْعِبْهُ»، وَالْمُرَادُ مِنْهُ جَمْعُ
الْأَحَادِيثِ وَالنَّظَرُ فِيهَا عَلَى سُنَنِ أَهْلِ الْعِلْمِ لِتَفْهَمِ السُّنَّةَ عَلَى
وَجْهِهَا الصَّحِيحِ، وَهَذَا هُوَ الرُّسُوخُ فِي الْعِلْمِ.

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/٢١٢).

(٢) «تاريخ بغداد» (٦/٦١٩).

مِن آثَارِ التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ

إِنَّ التَّمَسُّكَ بِالسُّنَّةِ وَلِزُومِهَا، وَاجْتِنَابَ الْفِتَنِ لَهُ آثَارٌ كَثِيرَةٌ، وَثَمَارٌ يَانِعَةٌ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، فَمِنْ ذَلِكَ:

□ أَنَّ التَّمَسُّكَ بِالسُّنَّةِ بِحَقِّ مَحْصَلٍ لِلْهُدَايَةِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الضَّلَالِ وَالزَّيْغِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ، وَقَدْ مَرَّ كَلَامُ الْإِمَامِ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ ﷺ عَرَّفَنَا طَرِيقَ الضَّلَالِ وَالْكَفْرِ، وَالرَّدَّ عَلَى تِلْكَ الْفِرْقِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ لَوْ عِلْمُوهُ وَعَقْلُوهُ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ»^(١)،

وَالَّذِي فِي كِتَابِ اللَّهِ هُوَ الْأَمْرُ بِمُتَابَعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَقُولُ

اللَّهُ - جَلَّ فِي عِلَاهِ -: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النَّبَأُ: ٥٤]،

فَعَلَّقَ الْهُدَايَةَ بِطَاعَتِهِ ﷺ.

(١) سبق تخريجه (ص ١٨).

إِنَّ الْفِتْنَ كَثِيرَةٌ وَخَطِيرَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ فِتْنَةُ الدَّجَّالِ، وَهُوَ
شَرُّ غَائِبٍ يُتَنَظَّرُ، وَقَدْ حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ يَوْمًا فِي أَمْرِ
الدَّجَّالِ حَتَّى قَالَ الرَّاوي: إِنَّا لظَنَنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، مِنْ شِدَّةِ
تَحذِيرِ النَّبِيِّ ﷺ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ، وَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مُحذِّرًا
أَصْحَابَهُ: «إِنْ خَرَجَ وَأَنَا فِيكُمْ؛ فَأَنَا حَاجِبُهُ، وَإِنْ خَرَجَ وَلَسْتُ
فِيكُمْ؛ فَكُلُّ أَمْرٍ حَاجِبٌ نَفْسِهِ» (١).

وَالشَّاهِدُ مِنْ حَدِيثِهِ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَنَّهُ يَأْتِي وَمَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ،
وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ، وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ
كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَأَسْبُوعٍ، وَيَوْمٌ كَسَائِرِ أَيَّامِكُمْ، كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ.
وَيَأْتِي إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَلَكِنَّهَا مُحْرُوسَتَانِ، فَيَقِفُ عَلَى
مِشَارِفِ الْمَدِينَةِ، فَتَرْجُفُ ثَلَاثَ رَجْفَاتٍ، يَخْرُجُ مِنْهَا كُلُّ مُشْرِكٍ
وَمُنَافِقٍ فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيَخْرُجُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَفِي رِوَايَةٍ شَابٌّ
مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا لَقِيَهُ قَالَ: مَاذَا تَقُولُ فِيَّ؟ فَيَكْفُرُ بِهِ فَيَقْطَعُهُ
الدَّجَّالُ إِلَى نِصْفَيْنِ، فَيَمُرُّ مِنْ خِلَالِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُ الرَّجُلُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ
يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ؟ فَيَقُولُ: مَا أَزِدُّكَ بِكَ إِلَّا كُفْرًا، أَنْتَ الَّذِي

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٧) مِنْ حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخبرنا عنك رسولُ الله ﷺ، ثمَّ يحاول قتله ثانيةً فلا يستطيع .
ويقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض: أنبتي
فتنبت، وتُخرج له الأرض كنوزها.
وهذه فتنةٌ عظيمةٌ للمفتونين.

فهذا الشَّاب - وهو من الطائفة المنصورة والفرقة الناجية -
احتجَّ على ضلال هذا الدَّجَال العظيم - الَّذي فتن النَّاس -
بمنهج النَّبيِّ ﷺ، وبحديث رسول الله ﷺ، فلجأ والتزم بالمنهج
المعصوم الَّذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه.

ففي لزوم السُّنَّة تحصيلٌ للهداية، وأمنٌ من الزَّيغ
والضَّلالة، ولهذا جاء عند الدَّارمي بسندٍ صحيحٍ ^(١) أنَّ الإمام
الزُّهريَّ قال: «كان من مَضَى من علمائنا يقول: الاعتصام بالسُّنَّة
نجاهٌ»، وقال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «السُّنَّة مثل
سفينة نوح؛ مَنْ ركبها نجا، ومَنْ تخلف عنها هلك».
هذه ثمرةٌ عظيمةٌ، إِيَّاكَ أَنْ تفرِّط فيها.

(١) برقم (٩٧).

□ أَنَّ الْمْتَمَسِّكَ بِالسُّنَّةِ بِحَقِّ مَعْصُومٍ بِإِذْنِ اللَّهِ تَحْقِيقًا، وَآمِنٌ

مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْإِخْتِلَافِ وَالْفِرْقَةِ الْمَذْمُومِينَ.

نصوص الوحيين تأمر بالاجتماع والائتلاف والاتفاق، لا

الافتراق والمخالفة والمفارقة.

تأمر بالاجتماع على الحق وبالحق، فالله - جلّ في علاه - يقول:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فَمَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ وَاعْتَصَمَ بِهَا بِحَقِّ آمِنٍ مِنَ الْوُقُوعِ فِي

الِإِخْتِلَافِ الْمَذْمُومِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾

[البقرة: ٣٢]، ويقول الله - جلّ وعلا -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ

ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام].

ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ

ثَلَاثًا؛ يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ

تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيُكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ،
وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»^(١)، زاد الإمام أحمد في
«المسند»: «وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وُلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ».

قال الإمام ابن عبد البر رحمته الله في «التمهيد»^(٢) عند هذا
الحديث: «فيه الحُضُّ على الاعتصام والتَّمَسُّك بحبل الله في
حال اجتماع وائتلاف، وحبل الله في هذا الموضع فيه قولان:
أحدهما كتاب الله، والآخر الجماعة، ولا جماعة إلا بإمام».

ثمَّ قال: «وهو عندي معنَى متداخلٌ متقاربٌ؛ لأنَّ كتاب
الله يأمر بالألفة، وينهى عن التَّفَرُّق» انتهى كلامه رحمته الله.

فالتمسك بالسُّنَّة معتصمٌ بحبل الله - جَلَّ وَعَلَا - متمسكٌ
بهدي رسول الله ﷺ، يجتمع على الحقِّ وبالحقِّ وفي الحقِّ.

ومن علاماتِ أهلِ الأهواء والضَّلالِ الفرقة ومفارقة الحقِّ

وأهله، قال الله - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا

(١) رواه مسلم (١٧١٥)، وأحمد (٨٧٩٩).

(٢) (٢٧٢ / ٢١).

لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴿ [الأنعام: ١٥٩] ، وقال النبي ﷺ : « فَإِنَّهُ مَنْ
يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا ؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ » الحديث كما مرَّ (١) .

وهذا الاختلافُ الكثير يتَّضح بمعنى قوله - جَلَّ
وعلا :- ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ
لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو
عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ
السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ] .

يقولُ الإمامُ ابنُ جرير رَحِمَهُ اللهُ فِي «التَّفْسِيرِ» عِنْدَ قَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ :
«يعني بالنور محمداً ﷺ الذي مح الله به الشرك، وأظهر به

(١) (ص ١٢) .

التَّوْحِيدُ؛ فَهُوَ نُورٌ لِمَنْ اسْتَنَارَ بِهِ»^(١).

فَمَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ هَدَاهُ السَّبِيلَ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ
اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾.

وقوله ﷺ: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ
السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾،
جمع الظلمات، وأفرد النور؛ لأنَّ الظلمات كثيرة، فرق كثيرة
مخالفةً للسُّنَّةِ ومفارقةً لها، بعضها يدعو إلى الكفر - والعياذ
بالله -، وبعضها سبابةٌ للصَّحابة طعانةً في عرض رسول الله ﷺ.
وقوله ﷺ: «فَسَيَرَى اخْتِلَافًا» نكرةٌ في هذا السِّياق
تعمُّ، وأكَّدها ﷺ بقوله «كثيرًا».

ثمَّ قال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» فطريق النِّجاةِ واحدٌ.



(١) (١٠/١٤٣).

الخاتمة

- ختم الله لنا بالخير -

أخرج الإمام البخاري رحمته الله في «الصحيح»^(١) من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يخطب الجمعة على نخلة - أو شجرة - فقال له رجل من الأنصار، أو امرأة من الأنصار: ألا نصنع لك منبرًا يا رسول الله؟! قال: «إِنْ شِئْتُمْ»، فلما كان في الجمعة التي تلت قد صنعوا المنبر دفع ﷺ إلى المنبر، فلما صعد المنبر سمع صوتًا وأنيابًا من الشجرة أو النخلة تئن أنينًا، فنزل النبي ﷺ من على المنبر فضمها إليه، يقول الصحابي رضي الله عنه: تئن أنين الصبي الذي يسكن، فقال ﷺ: «كَانَتْ تَبْكِي لِمَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»، ولهذا كان الإمام الحسن

(١) برقم (٣٥٨٤).

البصريُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَكَى وَيَقُولُ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! الْخَشْبَةُ تَحْنُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَوْقًا إِلَى لِقَائِهِ؛ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَيْهِ»^(١).

هكذا يجبُ أن نلزمَ السُّنَّةَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فِي وَقْتِ الْفِتَنِ وَفِي غَيْرِهَا، فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ كَيْفَ صَبَرَ، وَكَيْفَ لَاقَى وَأَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَنَا فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِ خَيْرٌ قَدْوَةً، فَهَذَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ كَمَا لَقِيَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَذَى وَصَبْرٍ؛ جُلِدَ وَضُرِبَ وَحُبِسَ حَتَّى إِنَّ الْجَلَّادَ لَيَقُولُ: يَا إِمَامَ! لَقَدْ جَلَدْتُكَ بِسِيَاظٍ لَوْ جُلِدَ بِهَا بَعِيرٌ لَمَاتَ، وَكَانَ يَقُولُ: مَا هُوَ إِلَّا سَوْطٌ فَثَانٍ ثُمَّ لَا تَشْعُرُ.

وَكَانَ مِنْ تَيْسِيرِ اللَّهِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ أَنْ هَيَّأَ لَهُ رَجُلًا سَجِينًا مَعَهُ قَالَ لَهُ: يَا إِمَامَ! أَنَا أُجْلَدُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، وَأَصْبِرُ، وَأَنْتَ تُجْلَدُ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَلَا تَصْبِرُ؟! اصْبِرْ. فَكَمْ صَبَرَ هَذَا الْإِمَامُ؟ وَلِذَا بَقِيَ ذِكْرُهُ، وَبَقِيَتِ السُّنَّةُ

(١) «فتح الباري» (٦/٦٠٢).

التي حافظ عليها رَحِمَهُ اللهُ.

وهذا الإمام ابن تيمية شيخ الإسلام، كم أوزي في سبيل الله؛
سُجِنَ فِي الْقَلْعَةِ، وَفِي مِصْرَ، وَلَمَّا أُدْخِلَ السِّجْنَ قَالَ: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ
بِسُورَةٍ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [سُورَةُ الْحَجَرِ].

يقول أخوه كما في «البداية والنهاية»^(١): «ختمتُ أنا وأخي
شيخ الإسلام القرآن في السَّجْنَةِ الأَخِيرَةِ ثَمَانِينَ خْتَمَةً حَتَّى شَرَعْنَا
فِي الْوَاحِدَةِ وَالثَّمَانِينَ إِلَى أَنْ بَلَغَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي
جَنَّتِ وَنَهْرٍ﴾ [٥٤] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [سُورَةُ الْقِنَابِ]،
قَالَ: فَخَرَجَتْ رُوحُهُ عِنْدَهَا، ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ﴾ [الْأَنْزَابِ : ٣٢].»

نسأل الله - جلَّ في علاه - أن يثبتنا على السُّنَّةِ، وأن يُجَنِّبَنَا
الْفِتْنََ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ
وَبَارِكْ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ.

(١) (١٨/٣٠٠ - هجر).